(المحاضرة الاولى)

التعريف بالفكر العربي المعاصر

يمثل الفكر العربي المعاصر مُجمل ما انتجه المفكر العربي والاسلامي في الفلسفة والسياسة والاصلاح والتجديد منذ بداية عصر النهضة العربية والتي يؤرخ لها المؤرخون في هذا الشأن عام 1798م وحتى ما وصل الينا اليوم. واحياناً تسمى المرحلة الممتدة من عام 1798م وحتى بداية القرن العشرين (بالفكر العربي الحديث)، وتسمى الفترة الممتدة مع بداية القرن العشرين وحتى الان (بالفكر العربي المعاصر)، يُمثل هذا الفكر: "مُجمل موقف المفكرين العرب المعاصرين من التراث العربي الاسلامي ومن المنجز الغربي الحديث والمعاصر". والفكر العربي احد انواع الفكر التي عرفتها تاريخ الانسانية، لهُ منظومته وخصوصيته، ارتبط بالوجود العربي وتطور عبر العصور متأثراً بسائر التحولات التي عرفها الانسان في حياته، يتحدد بالتراث العربي وما انبثق عنه من منظومات فكرية وعلمية وفلسفية منذ القديم حتى الآن، كما يتحدد بالتراث العربي متمثلاً في ديوان العرب قبل الاسلام، وفي سائر عناصر الثقافة العربية الفكرية والدينية والاخلاقية والسلوكية، التي جاءت وتطورت بعد الاسلام الى يومنا هذا، ويتحدد كذلك بما أفرزه امتزاج التراث العربي (التراث المسيحي والاسلامي) بالفكر الانساني القديم والحديث والمعاصر وبمشكلات وتحديات العصر الحاضر وتحولاته.

تكمن أهمية هذا الفكر في دراسة الجوانب الفكرية من حياة العرب والمسلمين المعاصرين، وفي تحديد الاسباب التي تقف وراء تدهور الاحوال السياسية والاقتصادية والثقافية عامة والعلمية منها على وجه الخصوص، والسُبل الى تحليلها ونقدها وإعادة انتاجها بُغية النهوض بهذا الواقع.

ولهذا الفكر بعض المشتركات كما لكل فكر آخر مشتركاته، ومشتركات الفكر العربي نقصد بها مجموعة من العوامل التي يشترك فيها من ينتمي لهذا الفكر من المفكرين ومنها اللغة والتاريخ والارض والثقافة، فاللغة العربية تمثل عاملاً مهماً وميزة من ميزات هذا الفكر الى جانب الثقافة المشتركة والتاريخ المشترك ووحدة الارض والجغرافية، فضلاً عن خصوصية الدين الاسلامي الذي يشترك فيه جزء كبير من المفكرين العرب المعاصرين. ولعل سائلٌ يسأل: ما هو الفرق بين الفكر العربي والفكر الاسلامي ؟ نُجيب ان الفكر الاسلامي أعم من الفكر

العربي، من حيث ان الفكر الاسلامي مرتبط بالدين الاسلامي عقيدةً وشريعةً ولإتصاله بالثقافة الإسلامية وبحياة المسلمين، أما الفكر العربي مُرتبط بالقومية العربية، فهنا قومية واحدة وديانات مُتعددة، والفكر الاسلامي ديانة واحدة وقوميات مُتعددة.

ينطوي الفكر العربي على مجموعة من الاتجاهات والتيارات الفلسفية والفكرية على مختلف مشاربها، ويتميز هذا الفكر ايضاً بانه مُتداخل تداخل يصعب وضع حدود لاتجاهاته وتياراته وموضوعاته. فلم يقتصر هذا الفكر على دراسة الفلسفة فحسب، بل امتد ليشمل الجوانب الفكرية الاخرى، كالدين والسياسة والتاريخ والاقتصاد الى جانب الفلسفة. مثلا نجد ان مفكراً كمحمد عابد الجابري يصح ان يُصنف نتاجه الفكري ضمن الاتجاه النقدي وكذلك ضمن الاتجاه العقلي والاتجاه البنيوي، وكذلك الحال مع اغلب المفكرين الاخرين، ويمكن القول بان (شبلي شميل) ينتمي للاتجاه العلمي وللاتجاه الليبرالي وكذلك الاتجاه المادي .... وهكذا .

وتُعد إشكالية الاصالة والمعاصرة في مقدمة الاشكاليات التي حاول الفكر العربي المعلصر مناقشتها ، نجد ان من المفكرين العرب المعاصرين من يرى ان الخلاص من الواقع المتدهور لواقع العرب والمسلمين هو في العودة الى النموذج الاسلامي، في محاولة مُحاكاة فترة الازدهار التي مر بها هذا الفكر، وهذا يعني العودة الى التمسك بمبادئ الدين الاسلامي، ويمثل هذا الاتجاه: اصحاب الاتجاه الديني والذي يرى البعض منهم اننا اذا ما تمسكنا بمبادئ الدين الاسلامي او حاولنا إعادة انتاجه سنزدهر من جديد، أما اصحاب المعاصرة، فهم الذين يرون ان الحل في التمسك بالمنجز الغربي الحديث والمعاصر، وبين هذين التوجهين نجد توجه آخر، توجه ثالث، يرى لا مَناص من الجانب الروحي المتمثل بالدين الاسلامي ولا مَناص من الجانب العلمي المادي المتمثل بالمنجز الغربي، فهم يحاولون التوفيق بينهما كحل توفيقي وسط للنهوض بالفكر العربي المعاصر وبالثقافة العربية المعاصرة .

لماذا سُمي فكر عربي معاصر وليس فكر فلسفي أو فلسفة عربية معاصرة ؟

هذه إشكالية أُخرى من إشكاليات الفكر العربي المعاصر، فلماذا يُسمى فكر وليس فلسفة او فكر فلسفي؟ لماذا يسمى فكر عربي وليس فلسفة عربية؟ من الممكن ان يكون السبب في ذلك يعود الى :

1- ان مباحث وموضوعات الفكر العربي المعاصر تتجاوز موضوعات الفلسفة لتمتد الى موضوعات التراث العربي الاسلامي بكل ما فيه من كلام وتصوف وفقه ومختلف العلوم فضلاً عن الفلسفة، وكذلك تمتد موضوعاته الى السياسة المعاصرة وقضايا الديمقراطية وحرية التعبير وحقوق الانسان وحرية المرأة وغيرها . كذلك تمتد موضوعاته الى القضايا الاجتماعية والنفسية أحياناً، والقضايا الاقتصادية والتجارية، وكل ذلك تناوله المفكرون العرب المعاصرون . وبذلك يكونون قد اهتموا بمجمل الفكر الانساني وليس بالفلسفة فحسب، لذلك سُمي بالفكر وليس بالفلسفة لان الفكر أوسع منها من حيث المدلول.

2- لم تجري العادة في ثقافتنا العربية المعاصرة ان يُسمى من يشتغل في الفلسفة ويُدرسَّها ويؤلف فيها ويناقش موضوعاتها بالفيلسوف، كأنما الفلسفة حكرٌ على الآخر، واذا كان الفيلسوف كل من أنتج نصاً فلسفياً فلدينا من المشتغلين في الفلسفة قد انتجوا نصوصاً فلسفية، واذا كان الفيلسوف هو كل من يناقش قضايا الوجود والعالم والمنطق والاخلاق والفن فلدينا من ناقش مثل هذه الموضوعات وكتب فيها وحاضر فيها مئات المحاضرات، وان كان الفيلسوف يتأثر ويؤثر فلدينا من المشتغلين في الفلسفة من تأثر بفلاسفة كِبار وبفلسفات كبيرة وأثر بالوقت نفسه في قُرائه وطلبته ومريديه .

التداخل في التسمية بين الفكر العربي و الفكر الاسلامي

هذه اشكالية من اشكاليات الفلسفة الاسلامية قبل ان تكون من اشكاليات الفكر العربي ، فلا يمكن ان نتفق على حل واحد لها. ان مشكلة تسمية الفلسفة الاسلامية أخذت مأخذاً عند المشتغلين بها، وكان السؤال: هل هي فلسفة اسلامية ام عربية ؟ ذهب البعض الى تسميتها (بالفلسفة العربية) منهم (حنا فاخوري و خليل الجر) في كتابهما (تاريخ الفلسفة العربية) وهناك من اطلق عليها تسمية (الفلسفة الاسلامية) منهم (ماجد فخري، محمد ابو ريان، علي سامي النشار، حسام الدين الالوسي) ... واخرون وهم لم يقصدوا إقصاء دور غير المسلمين لاسيما السريان ودورهم الكبير في ترجمة نتاج فلاسفة اليونان الى اللغة العربية. ويمكن القول ان كل من كتب والف باللغة العربية او ناقش قضايا العرب المسلمين وغير المسلمين وتداول ثقافتهم وأحوالهم وأوضاعهم ينتمي الى الفلسفة الاسلامية والى الفكر العربي عامة، ونموذج ذلك (حنين بن اسحق) و (متي بن لوقا) و (موسى بن ميمون) وغيرهم في الفلسفة الاسلامية، و (محمد اقبال) و (جمال الدين الافغاني) و (محمد اركون) في الفكر العربي الحديث والمعاصر .

اذا نقصد بالفكر العربي المعاصر، الفكر الذي يهتم بماضي العرب والمسلمين، وبتراثهم الديني والفلسفي، ويهتم كذلك بواقع العرب والمسلمين المعاصر بكل ما فيه، ويقرأ جيداً الفكر الغربي في ماضيه وحاضره، والذي عبر عنه مجموعة من المفكرين سواء كانوا عرباً ام غير عرب، مسلمين ام غير مسلمين، كتبوا باللغة العربية أو تُرجمت مؤلفاتهم الى اللغة العربية.

(المحاضرة الثانية)

واقع الفكر العربي قبل النهضة العربية

منذ نهاية القرن الرابع الهجري بدأت بوادر ضعف العرب والمسلمين سياسياً لما تعرضوا لهُ من الموجات التركية المتوالية والحروب الصليبية وصولاً الى الغزو المغولي بقيادة هولاكو الذي أسقط بغداد وجزء من العالم العربي وحدث ما حدث من خراب ودمار وصولاً الى الاحتلال العثماني للبلاد العربية في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، كل ذلك ادى الى تدهور الوضع السياسي وانهياره نتيجة لسقوط الدولة وتقسيم المنطقة العربية الاسلامية الى دويلات ومقاطعات، الامر الذي ادى الى ضعف الحياة الثقافية والعلمية وضعف الدعم لها، فعندما يغيب دعم الدولة عن العلم والعلماء وعن الادب والادباء وعن الثقافة والمثقفين، فمن البديهي ستتدهور الحالة الثقافية في البلاد وهذا ما يُفسر تراجع الشعر والفلسفة والعلوم الاخرى في تلك المرحلة، كل ذلك كان عاملاً رئيسياً في تدهور الحياة الاقتصادية، فالعلاقة بين الوضع السياسي والوضع الاقتصادي غالباً ما تكون طردية، اي كلما تدهور الوضع السياسي (والامني) تدهور الوضع الاقتصادي، والعكس صحيح . بسبب ضعف الدولة تمكن الاقطاع من بسط نفوذه والسيطرة على الثروة الزراعية (وهي المورد الرئيسي للمنطقة العربية) دون رقيب ودون دفع الضرائب، الامر الذي ادى الى احتكار الثروة والمال والموارد الرئيسية التي اصبحت بيد افراد يسمون (الاقطاع) مع غياب كامل لدور الدولة التي عانت من الضعف والتقسيم مما انعكس على الحياة الاقتصادية وسبب ضعف الحركة التجارية وتبادل السلع والمنتجات لعدم توفر الحماية الكاملة لعملية التبادل التجاري، حيث كانت القوافل عُرضةً للسلب والنهب سواء من الداخل او من الخارج، فاحتلال الصليبيين لأغلب مناطق حوض البحر الابيض المتوسط العربية الاسلامية أثرّ على الحركة التجارية، فضلاً عن اكتشاف طرق بديلة للتجارة كرأس الرجاء الصالح

الذي غير جزء من الحركة التجارية بين الشرق الاقصى وبين أوربا الغربية وامريكا اللاتينية. وكل ذلك ادى بدوره الى تدهور الحياة الاجتماعية نتيجة لتراجع قيم المدنية تدريجياً والعودة الى القيم القديمة في ادارة المجتمع ومشاكله .

النهضة العربية الحديثة واهم العوامل التي ساعدت عليها

بداية لا بُد من توضيح معنى النهضة حتى نفرق بين النهضة والمفاهيم الأخرى كالتنوير Age of Enlightenment والحداثة Moderism والتحديث والاصلاح والتنمية والتقدم Development فلكل مفهوم تعريف محدد . والمعنى المعجمي للنهضة أنها الوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي وغيره ، وفي التاريخ الاوربي يطلق مصطلح النهضة على فترة الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة ومن المفهوم أن لعصر النهضة تأثير واسع النطاق في الفن والعمارة وتكوين العقل الحديث ، وهكذا بالنسبة للعرب فان عصر النهضة كانت تجاوزاً لعصر من التخلف.

أما مصطلح النهضة في تفسيره التاريخي فهو : مجموعة من التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي تصيب مجتمعات معينة على امتداد التواريخ الحديثة ، أي منذ القرن السادس عشر وحتى يومنا هذا.

ولابد من القول ان كلمة النهضة لم تستخدم في كتابات الرواد الاوائل في البلاد العربية في القرن التاسع عشر ولكن كتاباتهم كانت تتسم بطابع تنويري أي كانت محاولاتهم موجهة الى المجتمع لتخليصهم من التخلف. ولكن كانت هناك مصطلحات قريبة من معنى الاصلاح مثل الحرية والعدالة والدستور والقانون. ومطلب النهضة يتمثل بالخروج من الواقع المتمثل بالتخلف والتأخر والضياع والتشتت والفقر الى حالة افضل وهي حالة التطور والتقدم والغنى.

يرى المفكر البرت حوراني أن النهضة العربية بدأت عام 1798 – 1939 والتاريخ الاول يشير الى الانفتاح على المجتمع الأوربي من خلال حملة نابليون على مصر، والثاني الى بداية الحرب العالمية الثانية. وقد تعرض هذا الرأي للنقد لأنه يجعل دور المؤثر الخارجي هو العامل الرئيس للنهضة العربية.

هناك رأي اخر وهو الاكثر موضوعية يذهب الى القول أن النهضة العربية ما كان لها أن تأخذ مداها الذي وصلت اليه بفضل التأثيرات الخارجية سواء عثمانية أم فرنسية لو لم يكن هناك استعداد داخلي للنهوض على مستوى الامة أو على مستوى الافراد ممثلين بزعماء الاصلاح.

ومن خلال المقارنة بين النهضة الاوربية والنهضة العربية نجد أن هناك اختلافا كبيرا بين تشكيلات تاريخ اوربا الحديث عن تكوين العرب الحديث، فالنهضة الاوربية في القرن السادس عشر قد نجحت بإحياء الحضارة استنادا على ميراث الحضارة العربية ولكن دون أن تذيب شخصيتها مؤكدة هويتها في اطار حضارة اوربية يطلق عليها اليوم بالحضارة الغربية، أما النهضة العربية في القرن التاسع عشر، فقد غلب تأثير اوربا عليها استنادا على طبيعة العلاقات العربية – الاوربية.

كل نهضة تختلف عن الاخرى حسب خصوصية كل أُمة، وهي في مُجملها (حركة تنويرية). حاولت النهضة العربية البحث عن الهوية الفكرية الحقيقية للثقافة العربية الاسلامية، كما أنها بحثت عن التحرر من مختلف انواع السيطرة الخارجية والداخلية، وهي بحث مستمر عن الحرية والاخاء والمساواة.

أما عن عوامل نشوء النهضة الفكرية التي بدأت مع بداية القرن التاسع عشر عند العرب هي:

اولاً) الحملة الفرنسية على مصر (1798–1801): يرى المفكر (البرت حوراني) أن عصر النهضة بدأ منذ أول لقاء بين العقل العربي والعقل الاوربي بمجيء حملة نابليون الى مصر فعن طريق الاحتكاك المباشر بين المصريين والفرنسيين تعرف العقل العربي على انجازات عصر النهضة الاوربية من خلال تطبيقات الحملة الفرنسية لأفكار الثورة الفرنسية في مصر. وان عصر النهضة العربية انبثق بتأثير هذه الحملة، التي جعلت العالم العربي يتنبه إلى علاقته بالعالم الحديث، ويدرك حاجته إلى العلوم والمعارف والمكتشفات الحديثة. اما علي المحافظة فهو يرى أن الحملة الفرنسية على مصر فتحت أبواب العالم العربي على الحضارة الغربية الحديثة، بما اشتملت عليه من مبادئ سياسية وأنظمة إدارية وعلوم وآداب وفنون وطباعة وصحافة وغيرها. أن فريقاً من العلماء الفرنسيين في الرياضيات والهندسة والطب والجغرافيا رافقوا الحملة ، وجلب معه مطبعتين إحداهما فرنسية والأخرى عربية، ولما استقر به المقام في مصر، أنشأ الدواوين وغرضه منها تعويد أعيان مصر على نظم المجالس الشورية وأساليب الحكم.

كما أسس مجمعاً علميًّا على غرار المجمع الفرنسي، من أجل البحث والدراسة في موضوعات الطبيعة والصناعة والتاريخ، وكان المجلس مؤلفاً من ثمانية وأربعين عضواً، موزعين على أربعة أقسام هي: الرياضيات، العلوم الطبيعية، الآداب والفنون، الاقتصاد السياسي. وأنشأ مرصداً ومتحفاً ومختبراً، وأقام مسرحاً للتمثيل، وأصدر جريدتين باللغة الفرنسية هما: وهي جريدة اقتصادية خصصت لنشر أبحاث المجمع العلمي المصري، وتصدر كل عشرة أيام مرة، الناطقة بلسان السلطات الفرنسية، وكانت تصدر مرة كل أربعة أيام، كما أصدر جريدة عربية، التنبيه لنشر بياناته على الناس.

ثانياً) الإرساليات (البعثات) التبشيرية في البلاد العربية: يرجع وجود هذه البعثات في بلاد الشام الى مطلع القرن السابع عشر، ولكن مجال وجودها كان محدودا يقتصر على انشاء عدد محدود من المدارس والمعاهد في أماكن متفرقة. وحصل التحول في عهد ابراهيم باشا بن محمد علي عام 1834 عندما فتح المجال أمام البعثات التبشيرية الاجنبية، وقد انشأت هذه الارساليات المدارس والجمعيات العلمية والادبية ونشطت في مجالات الخدمات الطبية والترجمة وتحديث اللغة العربية ومن أبرز جمعياتهم زهرة الآداب وجمعية المقاصد الخيرية، والمجمع العلمي الشرقي والجمعية التاريخية وجمعية الفنون الطبية .

وعلى الرغم من أن أهداف تلك الارساليات كانت معروفة كونها دعاية محضة للثقافة الغربية والتعرف العميق على المجتمع العربي ونشر التغريب في المنطقة ، لكن أدواتها ووسائلها قدمت خدمات كبرى لثقافة ابناء البلاد العربية وعززت فيهم الشعور القومي والنزوع النهضوي لدرء المخاطر كما عرفوا من خلالها الاساليب الجديدة في العلوم والآداب والفنون والكشف عن الاثار القديمة والتأكيد على اللغة العربية ونشر المخطوطات القديمة وكان الاباء اليسوعيين من امهر المحققين العرب في تحقيق تلك المخطوطات.

ثالثاً) البعثات العلمية الى أوربا: ساهم محمد علي والي مصر أنذاك في النهضة العلمية، ورأى أن تشمل نهضته جميع نواحي الحياة، لذا أرسل البعثات إلى أوروبا، وقد تعددت هذه البعثات وتنوعت بين هندسية، وطبية، وزراعية، وصيدلية، وقانونية، وسياسية، وكيماوية ، كما كان منها بعثات للتخصص في الطباعة، والحفر، والميكانيكا وغيرها.

واستقدم الخبراء والمفكرين الأجانب، الذين اضطلعوا بمسؤولية إنقاذ البلاد من حالتها المتخلفة، وتعريفها بحضارة الغرب ونظمه القديمة. إن البعثة الأولى التي تم إيفادها كانت تحت رئاسة المستشرق الفرنسي المهندس (جومار) وإشراف رائد النهضة العلمية (رفاعة رافع الطهطاوي)، وفي عام 1826 بعث إلى باريس 44 طالباً في مختلف الاختصاصات والمجالات، منها: الفنون والعلوم المختلفة، العلوم السياسية، والطب، والتاريخ الطبيعي، والكيمياء، والمعادن والزراعة، والطباعة، والحفر وغير ذلك. وكان هؤلاء مزيجاً من المصريين وغير المصريين. وترجمة العديد من المؤلفات العلمية والادبية والفنية الغربية الى اللغة العربية، وتدريس العلوم الحديثة في المعاهد والمدارس التي انشأها محمد علي وخلفائه.

رابعاً) الترجمة: تعد الترجمة أحد أهم العوامل التي ساعدت على النهضة العربية الفكرية والادبية الحديثة والتي ساعدت على سد الفجوة المعرفية والعلمية بين البلاد العربية والغربية، ومن خلالها تعرف العرب على ثقافات الغرب وآدابه وعلومه وفكره الحديث في الفلسفة والسياسة والقوانين، وقد كانت الترجمة الى العربية من عدة لغات لاسيما التركية والفرنسية والايطالية والفارسية، وقد تعرف العرب لأول مرة على ثقافات جديدة لشعوب عديدة بعد قرون من الركود والانغلاق، فقد تعرفوا على انواع جديدة من النثر منها فن كتابة المقال وهو فن غربي أصيل دخل الى الادب العربي وهو متخصص للجمهور العريض من الناس، منها المقال الاجتماعي والسياسي والادبي والنقدي والفلسفي وغيرها. وكذلك القصة القصيرة فن جديد دخل الى الادب العربي عن طريق الترجمة والمحاكاة ثم التأليف، وبدأت الحركة تنشر فعالياتها في بلاد الشام في مطلع القرن التاسع عشر، واقتصرت في بادئ الامر على الكتب الدينية واتخذت طابعاً فردياً غير مُنظم، ثم أسس محمد علي مدرسة الألسُن في مصر عام 1835 وتولى الطهطاوي الاشراف عليها، وأنصب الاهتمام على ترجمة الكتب العلمية والادبية الهامة، كما قامت بعض المجلات بترجمة البحوث والمقالات وعلى رأسها مجلة (المقتطف) ومجلة (الهلال).

خامساً) الطِباعة: تُعد المطابع وسيلة مهمة ورئيسية لإيصال النتاج الادبي والعلمي الاوروبي للقراء العرب والمسلمين ولإيصال أخر التطورات في مجال العلوم والاداب والفنون. وقد ظهرت المطابع في البلاد العربية مع الحملة الفرنسية التي دخلت مصر سنة 1798 حيث احضرت معها مطبعة تطبع بحروف عربية واخرى فرنسية، واستولى محمد علي على تلك المطبعة او اشتراها ثم عمل غلى تطويرها فأستقدم لها احدث الاجهزة والحروف،

وسُميت (المطبعة الاميرية) واختار من العلماء مُشرفين عليها فطبعت الكثير من أُمهات الكتب مثل كتاب (الاغاني)لأبي فرج الاصفهاني وكتاب (العقد الفريد) لأبن عبد ربه، ومقدمة ابن خلدون، وكثيراً من أُمهات الكتب في التفسير والحديث واللغة والادب والتاريخ وغيرها، وبقيت تتطور حتى ضُمت الى دار الكتب. وأنشأ النصارى في الشام بعض المطابع، فعنوا فيها بكتب دينهم وبعض كتب الادب واللغة، واخذت المطابع تتطور وتنمو في البلاد العربية كلها. وأُنشأت اول مطبعة في لبنان عام 1601 وتوالت بعدها المطابع في البلاد العربية .

سادساً) الصحافة: لعبت الصحافة دوراً مُهماً في حركة النهضة الفكرية العربية، إذ ظهرت اول صحيفة رسمية في مصر (التنبيه) وبعدها (الوقائع المصرية)، أما عن أول صحيفة غير رسمية فكانت (وادي النيل)، وفي العراق أُنشأت صحيفة رسمية وهي (الزوراء) وتوالت عشرات الصحف في البلاد العربية، إذ أيقظت الصحافة الاذهان وحملت الى قُرائها افكار ومفاهيم سياسية مُختلفة منها: التقسيم والوحدة الوطنية والجامعة الاسلامية والقومية العربية، كل ذلك ساهم في نشوء رأي عام عربي ووعي اسلامي.

سابعاً) الجمعيات العلمية والادبية: تميز النصف الثاني من القرن التاسع عشر بظهور عدد من الجمعيات العلمية والادبية التي كان لها دور في النهضة العربية الحديثة في الوطن العربي، من اهمها (جمعية الآداب والعلوم) التي اتخذت من بيروت مقراً لها عام 1847 واستمرت في العمل لمدة خمس سنوات أسهمت خلالها في إلقاء محاضرات اسبوعية تتحدث عن تراث العرب العلمي، و(الجمعية العلمية السورية) التي تاسست عام 1857 وضمت عدداً من الادباء والمثقفين، فقد بلغ عدد اعضاءها 150 عضواً وبالرغم من ان مقر الجمعية في بيروت الا ان نشاطها لم يقتصر على بلاد الشام كونها ضمت اعضاء من مصر وبعض الادباء والمثقفين العرب المقيمين في إستانبول. وتوال بعد ذلك ظهور العديد من هذه الجمعيات ك (زهرة الآداب)، (شمس البر)، (الجمعية الجغرافية الخديوية).

(المحاضرة الثالثة)

النهضة الأوروبية

سمّى المؤرخون زمن هذا النهوض "عصر النهضة الأوروبية"، وقد اختلفوا في تاريخ النهضة، فمنهم من ذهب إلى أنَّ عصر النهضة ابتدأ في القرن الثالث عشر، وبعضهم رأى أنَّه ابتدأ في القرن الرابع عشر، غير أنَّ ما لا شكَّ فيه أنَّ النهضة تدرجت في سبيل التقدُّم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وعاضت نامية فتيّة حتى أدركت القرن السادس عشر، وكان من نتائجها المهمة ثورة الإصلاح الديني المسيحي لتخليصه من البِدَع والخُرافات.

ونقصد بالنهضة الأوروبية، التغيُّرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي طرأت على أوروبا في أواخر العصور الوسطى.

أمّا حركة الانبعاث أو إحياء الحضارة الكلاسيكية اليونانية والرومانية القديمة، والتي تسمى (Renaissance)، فقد كانت نتاج لهذه التغيُّرات التي بدأت في إيطاليا، من خلال التأكيد على الأدب والفن، والنظر إلى الإنسان، والتغيُّرات التي حدثت في هذه المجالات في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، وهذه القرون في الواقع هي عشر الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، كما أشرنا في بداية كلامنا.

يؤكد معظم المؤرخون على أنَّ النهضة الاوروبية بجانبها الثقافي والسياسي بدأت من شمال إيطاليا، وهنا لا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ النهضة الإيطالية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن الرابع عشر، والتي كانت من أهم الأحداث التي شهدتها القارة الأوروبية في نهاية العصور الوسطى، كانت اتجاهاً جديداً في التفكير والنظرة إلى الأُمور يختلف كلياً عمّا كان يسود المجتمع من قيم الإقطاع والكنيسة المقيّدة للفِكر، والمعرقِلة للإبداع.

وكانت إيطاليا مهد النهضة، وذلك بفعل مجموعة من العوامل المتفاعلة مع بعضها، وهي :

1. الحضارة الرومانية التي كانت مركزها إيطاليا (روما)، ومعظم علماء الرومان كانوا قد عاشوا جزءاً كبيراً من حياتهم في إيطاليا، وانتقلت بعدها كتبهم إلى باقي أوروبا. وقد برزت الحضارة الرومانية بشكلٍ كبير في

العلوم السياسية، فقد كان لديها نظام سياسي منظم ومتطور، وكانت هناك لوائح قانونية تنظم الحياة الرومانية، وبما أنَّ إيطاليا هي وريثة حضارة روما، فكان من الطبيعي أنْ تكون رائدة لعصر النهضة.

2. أُولى العلاقات الرأسمالية ظهرت في إيطاليا، وبداية انحلال العلاقات الإقطاعية كانت في إيطاليا، كذلك كانت بداية تكوين الطبقة الوسطى (البرجوازية)، فبدأ الكثير من أصحاب الحِرَف يطورون حرفهم، وزيادة إنتاجهم بهدف التصدير، وكذلك ظهرت طبقة من التجار الذي سوّعوا في علاقاتهم التجارية مع بلادٍ بعيدة، وحاولوا إيجاد طرقٍ جديدةٍ إلى الشرق.
3. إنَّ جزءاً كبيراً من المفاهيم لعصر النهضة موجهة ضد الكنيسة ومفاهيمها، لأنَّها تُهيمن على الحياة الفكرية، ولما كانت إيطاليا هي مركز الكنيسة الكاثوليكية، كان من الطبيعي أنْ تحدث بوادر حركة النهضة في إيطاليا قبل غيرها.
4. اكتسبت إيطاليا أهمية كبرى بسبب مركزها الجغرافي، فهي تقع في وسط البحر المتوسط الذي قامت على ضفافه أقدم الحضارات وأعرقها، وكانت المدن الإيطالية هي حلقة الاتصال بين أوروبا وبين الحوض الشرقي للبحر المتوسط وبلاد الشرق.
5. بداية ازدياد دور النقد، إذ أصبح الناس في هذه الفترة لا يكتفون بسدِّ حاجاتهم فقط، وإنَّما تعدوا إلى تكوين رؤوس أموال بغية توظيفها في مشاريعٍ أُخرى، بالإضافة إلى تغطية العمليات التجارية التي حدثت بعد ذلك. وبهذا احتاج ظهور النقد إلى ظهور مراكز لصرف هذا النقد، فظهرت أُولى المصارف والبنوك في إيطاليا، وكذلك ظهور عملة إيطالية جديدة هي (الفلورين) التي تضرب في منطقة (فلورنسا) في إيطاليا، وبهذا سبقت إيطاليا الآخرين في هذا المجال.
6. تأثُّر إيطاليا بالحضارة الإسلامية، وخاصة في بلاد الأندلس، بحيث أخذ الأوربيون يرسلون أبناءهم للدراسة في مدارس وجامعات البلاد الإسلامية بسبب تقدُّمها الحضاري.

أما عن أهم ما أمتاز به ذلك العصر فيمكن القول :

1-**الثورة الفكرية**: كانت هذه الثورة مظهراً من مظاهر عصر النهضة في اوربا، وقد أهتمت بإحياء التراث القديم فناً وادباً وعلماً، فضلاً عن اهتمام هذا العصر بالانسان وعدّه مركزاً لهذا العالم بكل ما فيه، حتى ظهر

ما يسمى بالنزعة الانسانية التي بدت في الفنون التشكيلية بشكل واضح والتي تدعو الى مركزية الانسان في هذا العالم بإعتباره قيمة عُليا. والدعوة الى وحدة الانسان بغض النظر عن دينه وعرقه وجنسه، دعوة لمواجهة مخاطر الطبيعة، فالاعداء الحقيقيون للانسان: الفقر والجوع والمرض.

2-**الاصلاح الديني**: ظهرت في تلك الفترة حركة الاصلاح الديني التي اكدت على حرية المعتقد، وحاولت ان تُمهد لفصل الدين عن السياسة، والحد من سلطة الكنيسة الكاثوليكية على كل مرافق الحياة، وظهر هذا واضحاً في البروتستانتية عند مارتن لوثر و كالفن.

3- **ظهور الطباعة**: التي ساعدت كثيرا على نشر واحياء التراث القديم وفنونه، وفي هذه الفترة ظهرت محاولة لإحياء اللغات المحلية والدعوة الى استخدامها لتحل شيئاً فشيئاً محل اللغة اللاتينية وصولاً الى القرن التاسع عشر.

علاقة النهضة العربية بالنهضة الاوروبية

ما قدمه رواد النهضة العربية الحديثة امثال رفاعة الطهطاوي (1801.1873) وبطرس البستاني (1819. 1883) وجمال الدين الافغاني (1838.1897) وخير الدين التونسي (1810. 1890) ومحمد عبده (1849.1905) وجورجي زيدان (1861.1914) وشبلي شميل (1853. 1917) وغيرهم انما هو شيء أشبه بالصحوة والاحياء والتجديد والتحديث واصلاح بسيط لا يتعدى ولا يقارن بالاصلاح العام الذي شمل النهضة الاوربية الحديثة، ومحاولة من هؤلاء الرواد العرب والمسلمين تقليد الغرب من جانب، والعودة الى التراث والجذور العربية من جانب آخر، وهذا ما تمثل في كتابات رواد الفكر الاصلاحي العلماني والعلمي من جانب، ورواد الفكر الاصلاحي الديني من جانب آخر، والدعوة لأظهار الهوية العربية والهوية الاسلامية في الفكر، وهذا لا يقلل من شأنهم وانما كان له الفضل على زيادة وعي المثقفين والمتطلعين في المجتمع العربي، وقد كانت تطلعات هؤلاء الرواد كبيرة جداً ولكن تفاعل وانسجام الجمهور والمجتمع لهم لم يكن بصورة مناسبة وحجم التحدي والظروف السيئة التي تعرض لها الانسان العربي للخروج من العتمة والظلام نحو النور. فخطاب النهضة العربية الحديثة لا يرقى الى خطاب النهضة الاوربية الحديثة، ولا يمكن عقد الصلة الكبرى بين الطرفين، فالحداثة والتنوير على مستوى الفكر الغربي شمل مجالات واسعة وعامة على واقع الحياة والفكر والثقافة الأوربية، أما عربياً فالحداثة

والتنوير والتجديد أضحت مجرد دعوات وشعارت يصدح بها رواد الفكر والثقافة العربية الحديثة، وما تحقق منه النزر اليسير والخجول جداً لم نر أثره على الواقع العربي في المؤسسات والمجتمع والواقع، وبقي العقل العربي يلهج بخطابات وشعارات النهضة ويرددها في القرن العشرين والى يومنا هذا، ولكنه غارق بفكر ومنطق العصر الوسيط، ومكبل بالوصاية الدينية والسياسية، ومجتمعاتنا العربية المعاصرة وان يتراءى للكثير منا حداثتها العمرانية والمدنية والحياتية، ولكنها سياسياً واجتماعياً وفكرياً وثقافياً تقبع تحت أفكار خاوية لا تمت الى الحياة العصرية والجديدة بصلة، وهذا ما يجعلنا نعيش أزدواجية لا مثيل لها، وفصام فكري وثقافي كبير، حداثة حياة وتخلف فكر، لا تجعلنا قريبين صلة بحداثة الغرب وتفوقه العلمي والمعرفي والانساني. وخير دليل على ذلك مجتمعاتنا العربية والاسلامية المعاصرة التي عادت الى خطاب الماضي والتكفير والاصولية والتطرف المقيت واحياء الميت من الأفكار البالية.

أما في النهضة الأوربية فنحن أمام منجز حضاري وعلمي وفكري وأدبي وفني وسياسي كبير، أمام ثورة معرفية شاملة غزت الغرب بالكامل وتحول وجه أوربا وفكرها من حال الى حال، أتضح للجميع الفارق الكبير بين أوربا ماقبل النهضة الحديثة وأوربا ما بعدها، فكرياً وأجتماعياً وسياسياً وثقافياً وحضارياً وعلمياً، أوربا الغارقة في الجهل والأنحطاط والصراع والعنف والحروب والتطرف والكراهية، أوربا الصراع الديني والعنف العنصري ومحاربة العلم والتحديث، أوربا التفكير الثيلوجي والنزعة الأبوية والأستبداد الديني والسياسي، أوربا العصر الوسيط المظلم، حيث محاكم التفتيش والوصاية الدينية والسياسية والتفويض الالهي والفكر الكهنوتي ، وبين أوربا التقدم الحداثة والتنوير والثورة الصناعية والعلم والمعرفة والفن والليبرالية والفكر الديمقراطي والتوجه الانساني، كان كل شيء في أوربا ماقبل النهضة في خدمة الكنيسة والدين المسيحي، الفكر والعلم والفن والفلسفة، الكلمة الأولى والقول الفصل للدين أولاً وآخراً، وفي سبيله تبذل الأرواح والأموال والثروات والأفكار، يجب حراسته والتضحية من أجله وفي سبيله، والدين (النقل) مقدم على العقل، والثاني في خدمة الأول، حتى أن الفلاسفة والمفكرين المسيحيين كانو يرفعون شعار (الفلسفة في خدمة اللاهوت)، أي أعتماد الفلسفة والمنطق للجدل ولنصرة الدين ومحاججة الأديان والأفكار الأخرى، وساد وقتئذٍ الاعتماد على المنطق الأرسطي (الصوري)، منطق القضية ونقيضها، منطق القضيتين ولا ثالث لهما، منطق الثنائيات، الحق والباطل، الخير والشر، الأبيض والأسود، منطق القياس وكمون النتيجة في مقدماتها، وما حدث في الفترة المسيحية هذه (ماقبل النهضة الحديثة) تشبه الى حد ما كان سائداً في الفترة العربية الاسلامية، زمن صراع المذاهب والحروب الكلامية وانتشار كتب (الأحتجاج) و (الأنتصار) وبيان

(الفرقة الناجية من فرق الهالكين) و (تلبيس أبليس) وفتاوى التكفير والحكم بالارتداد والخروج عن الدين، والحروب الدينية والمذهبية الشرسة التي عبرت عن الفكر المتخلف والكريه لفقهاء السلطة وحكام الجور وسلاطين العنفوالكراهية.

لقد ثار المفكر والمثقف والانسان الأوربي على كل ما عاناه من محن وأزمات وتخلف، وعلى السلطتين الدينية والسياسية المتنفذة في المجتمع الأوربي والتي كانت تعمل وفق مبدأ الوصاية والحاكمية والتفويض، أبتدأت الثورة أول ما أبتدأت في أوربا معرفياً وعلمياً، وسبق ذلك الاصلاح الديني الذي حصل بعد ذلك بفضل الثورة العلمية التي دعت للتصحيح والاصلاح والتغيير، حيث كان لثورة كوبرنيكوس (1473 . 1543م) العلمية في علم الفلك الأثر الكبير على تغيير فكر أوربا ومنطقها الأرسطي العقيم الذي ساد لقرون طويلة، وثورة كوبرنيكوس أطاحت بالتفكير الديني الكنسي التقليدي غير العلمي في كتابه (حول دوران الأجرام السماوية)، وأطاحت بـ (نظرية بطليموس) في مجال الفلك، والتي كانت تذهب الى أن الأرض وليست الشمس هي مركز الكون وجميع الكواكب وحتى الشمس تدور حول الأرض، وقد ساندت الكنيسة هذه النظرية معللة ذلك بأن الأرض مقدسة لأنها مولد السيد المسيح ومن ذلك أكتسبت هذه القدسية، ولكن نظرية كوبرنيكوس وتجاربه الفلكية العلمية قد أطاحت بكل هذه الافكار وأسقطت وفندت نظرية بطليموس، وقد هاجت وماجت الكنيسة على كوبرنيكس ونظريته التي غيرت صورة الكون وتفكير الناس ودعتهم لتحكيم العقل والعلم بدل الدين واللاهوت ومنطق أرسطو، وهذا يعني ضرب مصالح الكنيسة ونقد منهجها وسياستها واثارة الناس على الكنيسة ومنطقها، وتبع ذلك الثورة السياسية والاخلاقية التي قادها ميكيافلي (1469. 1527م) للاصلاح والتغير على مستوى السياسة والاجتماع من خلال نقد هيمنة الكنيسة ورفض فكرة التفويض الالهي في السياسة، وتبع ذلك ثورة الاصلاح الديني في أوربا والتي كانت على يد الألماني مارتن لوثر (١٤٨٣. ١٥٤٦م)، الذي نادى بالأصلاح الديني واصلاح الكنيسة ورفض سلطة البابوات وتشويههم لجوهر المسيحية واستغلال سلطتهم الدينية في السيطرة على عقول الناس، وبيعهم لصكوك الغفران، وقد كانت النظرية العلمية لكوبرنيكوس بداية الطريق للثورات الكبرى في أوربا، والمدخل للاصلاح الديني والعلمي والفلسفي والسياسي، والتي أدت الى تكوين فكر النهضة الأوربية وتشكيل كينونتها ومنطقها الجديد بالكامل.

النزعة الانسانية، والمنطق والمنهج العلمي، وفصل الدين والكنيسة عن السياسة، ومرجعية العقل ومركزية الانسان،

وتطور الفن واستقلال العلوم عن الفلسفة، والتقدم الحضاري والعمراني والمدني، كل هذه كانت مميزات وخصائص عصر النهضة الأوربي الحديث الذي تميز عن الشرق والعرب والمسلمين، والتي كانت هذه الشعوب متأخرة بالنسبة للغرب المتقدم في العصر الحديث.

وختاماً نوجز القول بأن زمكانية النهضة الأوربية الحديثة لا يمكن قياسها بزمكانية النهضة العربية الحديثة، ومناخ النهضة الأولى وأرضها الخصبة التي نشأت وترعرعت فيها نهضة الغرب، لم تتوفر ولم تتهيأ للعرب لرعاية نهضتهم، ولذلك بقيت نهضة (يقظة) خجولة منفعلة وغير فاعلة أجتماعياً وسياسياً وحضارياً وعلمياً، اذا ما قورنت بنهضة أوربا الشاملة وتعهدها بالرعاية والنمو والتقدم من قبل العلماء والمثقفين والمفكرين والناس داخل المجتمع الغربي، تحت ظل منطق العلم وسلطة العقل ودولة المؤسسات والقوانين.

(المحاضرة الرابعة)

الفكر العربي الإصلاحي وإتجاهاته

ظهرت العديد من الاتجاهات النهضوية العربية في تكوين العرب الحديث والمعاصر، مُتخذة لها عدة أُطر متباينة في التعامل مع تراث الامة من ناحية، ومع الفكر الغربي من ناحية اخرى. كما نشأت في خضم تلك الاتجاهات عدة تيارات فكرية وايديولوجية مثَلها عدد من المفكرين والادباء الكبار والقادة والزعماء على امتداد اكثر من قرن ونصف القرن من الزمن، اي: منذ منتصف القرن التاسع عشر الى يومنا هذا. **وابرز الاتجاهات النهضوية:**

الاتجاه الديني السلفي (الوهابية، السنوسية): تمثله أبرز الحركات الاصلاحية العربية التي ظهرت وتبلورت في القرن التاسع عشر كالوهابية والسنوسية والمهدية والشوكانية، وقد وقف مفكريه ضد التخلف والهيمنة وعوامل القهر والغزو الاستعماري للعالم الاسلامي مقترناً بالرجوع لاتباع خطى السلف الصالح على عهد صدر الاسلام، متمثلاً (بالسلفية) و (الاصولية).

اولاً) الحركة الوهابية: سميت الوهابية نسبة الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة، والده كان قاضيا في العلوم الشرعية ودعوته التي ظهرت في نجد مناوئة للصوفية. وكان دُعاة هذه الحركة مهتمون بالتعليم الشرعي، ويدعون الى عدم الخروج عن الحاكم، بدأت بوادر التجديد لدى محمد عبد الوهاب عندما كان يدرس في المدينة المنورة. نشأ محمد عبدالوهاب في بلدة (العيينة) في نجد، وتعلم دروسه الاولى بها على يد رجال الدين من الحنابلة، وسافر الى المدينة ليُتم تعلمه، بعد ذلك أقام ارع سنوات في البصرة، وخمس سنين في بغداد، وسنة في كردستان، وسنتين في همذان، ثم رحل الى اصفهان ودرس هناك فلسفة الاشراق والتصوف، ثم رحل الى قُم، وبعدها عاد الى بلده واعتكف عن الناس نحو ثمانية اشهر، ثم خرج بدعوته الجديدة.

وأهم مسألة شغلت ذهنه في درسه، ورحلاته: مسألة التوحيد التي هي عماد الاسلام، ولذلك سمى هو واتباعه أنفسهم "بالموحدين" أما اسم "الوهابية" فهو اسم اطلقه عليهم خصومهم، واستعمله الاوربيون، ثم جرى على الالسن. وقد رأى أثناء إقامته في الحجاز، ورحلاته الى كثير من بلاد العالم الاسلامي ان هذا التوحيد الذي هو ميزة الاسلام الكبرى قد ضاع، ودخله الكثير من الفساد. وكذلك انتقد كلام المتكلمين في العقائد وكلام الفقهاء

في التحليل والتحريم، مؤكداً ان الله وحده هو مُشرع العقائد، وهو وحده الذي يُحلل ويُحرم، فليس كلام أحد حُجة في الدين إلا كلام الله وسيد المرسلين (ص). وهكذا شغلت ذهنه فكرة التوحيد في العقيدة مجردة من كل شريك، وفكرة التوحيد في التشريع، فلا مصدر له إلا الكتاب والسُنة. هذا هو هو أساس دعوة محمد بن عبدالوهاب؛ وعلى هذا الاساس بُنيت الجُزئيات. فكانت دعوته حرباً على كل ما ابتُدع بعد الاسلام الاول من عادات وتقاليد.

ولم ينظر محمد عبد الوهاب الى المدنية الحديثة، وموقف المسلمين منها، ولم يتجه في إصلاحه الى الحياة المادية كما فعل مُعاصره (محمد علي باشا) وإنما اتجه الى العقيدة وحدها والروح وحدها. فهما الاساس والقلب أن صلحا صلح كل شيء، وان فسدا فسد كل شيء.

ثانياً) الحركة السنوسية: ولد مؤسس الحركة السنوسية (محمد بن علي السنوسي) بضاحية ميثا الواقعة على ضفة وادي شِلف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مستغانم في الجزائر سنة 1202 هـ، وقد ظهر بدعوته الاسلامية بعد وفاة محمد بن عبدالوهاب بعشرات السنين، وكان لدعوته أثر في مسيرة الامة الاسلامية في الشمال الافريقي، وغربها ووسطها، وكذلك في الحجاز وغيرها من اقطار العالم الاسلامي. فقد كان في صغره يميل الى الانزواء والانفراد ويمضي وقتاً طويلاً في التفكير العميق، ويتألم من حال الامية وما وصلت اليه من الضعف والهوان والضياع وكان يبحث عن عوامل النهوض، وأسباب توحيد صفوف الامة، واحياء الملة الاسلامية.

لقد كان تفكيره في حال الامة مُبكراً، واجتهد في البحث عن العلل والاسباب التي أدت الى التدهور والضعف في كيان الامة وذكر ان من أسباب هذا الضياع فقدان القيادة الراشدة، وغياب العلماء الربانيين، وإنعدام الغيرة الدينية، والانشغال بالخلافات التي فرقتهم شيعاً وجماعات، والتفريط في حق دعوة الناس الى الاسلام، وضياع الاقاليم الاسلامية، ولذلك أهتم بالبحث عن عوامل النهوض فرأى ان بدايتها في الايمان العميق الذي هو أساس كل خير وسبب لحصول البركات ونزول الارزاق. وأكد على اهمية العلم في نهوض الافراد والجماعات والامم، لأن العلم ظهير الايمان، وأساس العمل الصالح، ودليل العبادة. وضع السنوسي منهج سار عليه علماء الحركة من اجل توحيد المجنمع على كتاب الله وسُنة رسوله ولذلك إهتم بالاتي :

1- **وحدة العقيدة**، حيث ايقن انه لا يمكن ان تقوم وحدة للمسلمين ما لم تجمعهم عقيدة واحدة، وكان يعلم بأن العقيدة تشكل أساساً مُهماً في البناء الفردي والاجتماعي، وهي القاعدة التي تقوم عليها الاعمال والعلاقات.

2- **تحكيم الكتاب والسُنة**، أيقن السنوسي وإخوانه من العلماء أن المسلمين لا يكون لهم شأن، ولا عز، ولا نصر، ولا فلاح في الدنيا، ولا نجاة في الاخرة، الا بتحكيم الكتاب والسنة على مستوى الافراد والاسر والجماعات والقبائل ومن ثم على مستوى الدولة.

3- **صدق الانتماء الى الاسلام**، أيقن السنوسي ان من اسباب جمع صفوف المسلمين وتحقيق الوحدة بينها: الدعوة الى الالتزام بالاسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة، والاعتزاز بالانتساب اليه، ونبذ كل ما يُخالفه ويضاده.

4- **طلب الحق والتحري في ذلك**، ان هذا الاصل يقوي وحدة صف العاملين لتحكيم شرع الله، وهي من اهم سمات الربانيين الذين صفت نفوسهم وتطهرت قلوبهم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) .

5- **تحقيق الاخوة بين افراد المجتمع**، ان بتحقيق الاخوة بين القبائل، وأتباع الحركة، تتحقق وحدة الصف، وقوة التلاحم، ومتانة التماسك بين افراد الحركة.

(المحاضرة الخامسة)

الاتجاه الديني التجديدي (رفاعة رافع الطهطاوي، جمال الدين الافغاني، محمد عبده): مثل هذا الاتجاه مجموعة من المفكرين العرب المسلمين، سنتناول ابرز ثلاث شخصيات أثرت افكارهم وطروحاتهم النهضوية الاصلاحية في الساحة الثقافية والفكرية في ذلك الوقت وهم :

اولاً) رفاعة رافع الطهطاوي (1801–1873): ولد في طهطا في صعيد مصر، ولما بلغ السادسة عشرة جاء الى القاهرة ليدرس في الازهر، وفي الأزهر تتلمذ على يد الشيخ حسن العطار الذي أمتاز من بين اساتذة ذلك العهد بعقلية تقدمية تستطلع الحديث وتؤمن بالتطور. لذلك أصبح العلم لديه معرفة توسع الفكر، ولا يكتفي بالاستظهار والاجتزاز والتكرار، فقد احتل التفكير في تدريسه محل الحفظ، وأحتلت الحركة في حياته مكان الجمود، وأحس بضرورة تجديد الحياة العقلية في مصر. ولقد مكث الطهطاوي في الجامع الازهر كطالب نحو خمس سنوات، وعمل بعد تخرجه مدرساً فيه ثم واعظاً واماماً في الجيش، وفي ربيع عام 1826 انتهز محمد علي باشا حاكم مصر فرصة مرور السفينة الحربية الفرنسية (لاترويت) فكلف قبطانها (روبيارد) ان يحمل معه الى مرسيليا اربعين شاباً ليدرسوا في باريس، وقد كان الطهطاوي إماماً وواعظاً ومُرشداً لاعضاء البعثة بدعم من شيخه حسن العطار. وقد اقبل على الدراسة بجهد وشغف فاق به زملاءه من طلاب البعثة الذين ذهبوا في الاصل للدراسة. وقد وصل به الامر ان اتخذ له مُعلماً خاصاً يُعلمه الفرنسية على نفقته، وقد دامت رحلته خمسة أعوام أتقن خلالها اللغة الفرنسية، وألف كتابه (تخليص الأبريز في تلخيص باريز) الذي تحدث فيه عن تجربته في باريس، بعدها عاد الى مصر ليعمل مُترجماً في مدرسة الطب وفي مدرسة المدفعية للعلوم الهندسية العسكرية، ثم أسس مدرسة للترجمة كانت تسمى مدرسة (الألسُن) ودرس بها تحت رعاية محمد علي باشا. وكان الطهطاوي ايضاً رائداً للصحافة المصرية والعربية، فقد تولى رئاسة تحرير صحيفة (الوقائع المصرية) عام 1842 وكذلك تولى رئاسة تحرير مجلة (روضة المدارس المصرية) وهي اول مجلة ثقافية في مصر والعالم العربي، وفيها نشر كتابه (نهاية الايجاز في مسيرة مساكن الحجاز) على فصول متفرقة. ويمكن ان نوجز دور الطهطاوي في النهضة الفكرية وفي حركة الاصلاح والتجديد بما يأتي:

1- الدعوة الى تعلم العلوم والتمسك بها والتي هي سر تقدم اوربا.

2- الدعوة الى الاستفادة من النظام القانوني الفرنسي وعلى رأسه الدستور الفرنسي ومحاولة التوفيق بينه وبين بعض قوانين الشريعة الاسلامية.

3- محاولة الدفاع عن عدم التعارض بين بعض المفاهيم الاوربية الليبرالية وتحديداً الفرنسية، كالعدالة والحرية والمساواة وبين ما جاءت به الشريعة الاسلامية في هذه المفاهيم.

4- عمل الطهطاوي على إرساء حركة الترجمة في مصر والتأكيد على دورها وأهميتها في نقل التراث الغربي القديم والحديث الى القارئ العربي حتى يستفيد من تجارب هذه الشعوب والاطلاع على علومهم وآدابهم وفنونهم .

5- ساعد على ترسيخ مفهوم المواطنة والذي عبر عنه (بالمنافع العمومية) التي تقوم على الحرية والاخاء والمساواة بين ابناء الوطن الواحد، ونجد ذلك في كتابه (المرشد الامين للبنات والبنين).

6- أشاد الطهطاوي بدور الموسيقى والغناء وتحديداً (الاوبرا) منها وقدرتها على تهذيب النفس.

7- مع ذلك ظل الطهطاوي مُحافظاً في بعض الموضوعات ولم يتفق مع الغرب، ورفضها رفضاً قاطعاً منها على سبيل المثال: حرية المرأة وأسلوب حياة المرأة الفرنسية، ولم يؤيد فكرة فصل الدين عن الدولة.

ثانياً) جمال الدين الافغاني (1838–1897): ولد في افغانستان تعلم الفارسية والعربية على طريقة تشبه الطريقة الازهرية، ودرس الفلسفة الاسلامية والتصوف فكان ذلك نواة ثقافته؛ ودرس في الهند الرياضة على الطريقة العصرية، وساح سياحة طويلة في الاقطار الاسلامية الى مكة، فأكسبه ذلك تجارب عملية واسعة، وخبرة بحياة المشرق. تلقى الافغاني علوم اللغة والعربية والعلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث في مدينة كابل، ثم انتقل الى الهند ليتعلم اللغة الانجليزية، وعاد الى افغانستان ليتولى رئاسة الوزراء فيها لفترة قصيرة ليُعزل من منصبه مغادراً الى مصر عام 1870 ومنها انتقل الى الاستانة بناءاً على دعوة من السلطان عبدالعزيز الذي عينه عضواً في مجلس المعارف حتى غادرها الى مصر مرة ثانية، وهنا تطورت علاقته مع الشيخ محمد عبده، وما لبث ان نُفي من مصر الى الهند التي بقي فيها ثلاث سنوات ليرتحل بعدها الى باريس التي أنشأ فيها بصحبة محمد عبده جمعية (العروة الوثقى) والتي اصدر فيها مجلة (العروة الوثقى) التي تدعو المسلمين الى النهوض ببلادهم والثورة على المستعمرين والتحرر من الاستبداد والاضطهاد السياسي، لينتقل بعدها الى ايران متولياً فيها وزارة الحربية بناءاً على طلب الشاه ناصر الدين وما لبث ان غادرها بسبب ارائه السياسية متنقلاً بين روسيا وباريس ليعود الى ايران

ليُنفى منها ثانية الى العراق ومنها انتقل الى انجلترا حيث أصدر هناك مجلة (ضياء الخافقين) والتقى فيها بالفيلسوف الانجليزي (هربرت سبنسر) ثم عاد الى الاستانة ثانية بناءاً على دعوة من السلطان عبدالحميد . وقد ألف الافغاني كتاباً (في الرد على الدهريين) ينتقد فيه الداروينية واتباعها .

يمكن ايجاز اهم ما توصل اليه ودعا له الافغاني في حركته التجديدية بما يلي :

1- يرى الافغاني ان السبب الاول في تدهور الحضارة الاسلامية وضياع مجد المسلمين يكمن في ترك المسلمين حكمة الدين، وهي كانت سبباً في النهضة والعزة والمجد، وان استرجاع قوة المسلمين يكمن في العودة الى دينهم القوي.

2- دعا الافغاني الى وحدة الشعوب الاسلامية وإزالة الفوارق بين الفرق الاسلامية وتحرير العقل من الخرافات والاوهام والى تحرير الفكر الديني من قيود التقليد وفتح باب الاجتهاد، والى مراجعة النصوص الدينية والتدقيق فيها واستخلاص الصحيح منها وذلك بالاعتماد على القرآن في المقام الاول وعلى ما هو متواتر من الحديث.

3- الدعوة الى التوفيق بين العلم والايمان، إذ يعتقد الافغاني ان لا خلاف بين ما جاء في القرآن الكريم والحقائق العلمية، فإن الدين لا يخالف الحقائق العلمية وإذا كان في ظاهرها المخالف وجب تأويله.

4- رفض الافغاني تقليد الغرب في مختلف نواحي الحياة بلا ضرورة وبلا تمحيص، كما دعا بالمقابل الى ضرورة ان يطلع المسلمون على التيارات الفكرية الحديثة وقبول ما يتفق مع الشريعة الاسلامية ورفض ما يتعارض معها.

5- الدعوة المستمرة الى الاصلاح الديني، فهو -كما يعتقد الافغاني- الطريق المؤدي الى التمدن الحقيقي، فإن السبب الذي يقف وراء تحول اوربا من الخشونة الى المدنية كان الاصلاح الديني الذي ظهر فيها، خصوصاً عند مارتن لوثر والبروتستانتية.

6- كان الافغاني لا ينفك عن الدعوة المستمرة والعمل المستمر على توحيد الفرق الاسلامية وإزالة الخلاف بينها، والى التمسك بالقرآن الكريم هادياً لنا.

(المحاضرة السادسة)

ثالثاً) محمد عبده (1849–1950): وِلد عام 1849 في قرية على ضفاف الدلتا المصرية، من عائلة ذات مكانة محلية تتصف بالعلم والتقوى. ويقال ان اباه كان من اصل تركي بعيد، وامه من عائلة عربية تنتسب الى ابطال الاسلام الاوائل، وكانت العائلتان قد استقرتا منذ زمن طويل في قرية بالقرب من طنطا، وعندما بلغ حوالي الثالثة عشر من عمره، دخل الجامع الاحمدي في طنطا، الذي كان في ذلك الوقت أعظم مركز للثقافة الدينية في مصر بعد الازهر. لكنه نفر من طريقة التدريس المتبعة هناك والقائمة على استظهار الشروح على النصوص القديمة، فهرب وترك الدراسة ثم عاد لها استجابة لنصح خاله الشيخ درويش الذي كان له اثر كبير في حياته. عاد محمد عبده الى طنطا، وبعد إتمام دروسه فيها، ذهب الى الأزهر في القاهرة، حيث مكث من 1869-1877 ، وقد استهواه هناك بنوع خاص شيخ يُدرس علم المنطق والفلسفة، لكن اللاهوت الصوفي كان أشد استهواءاً له، حيث كان التصوف درسه المفضل كما كان موضوع أول كتاب نشره، حتى انه عاش فترة طويلة حياة تقشف مفرط، قاطعاً العلاقات مع الناس. عندما عاد الافغاني الى مصر عام 1871، كان محمد عبده أشد الطلاب الملتفين حوله حماساً، وقد كان مؤمناً بكل ما أمن به الافغاني وفي كل ما دعا اليه في الاصلاح والتجديد. استمع الى دروسه ونشر افكاره، درس الفلسفة، نشر الكثير من المقالات في صحيفة (الاهرام)، واشتهر ايضاً ككاتب في الشؤون الاجتماعية والسياسية، وفي سنة 1877 انهى دراسته بنيل شهادة (العالمية). ثم اشتغل بالتدريس كمهنة مُقربة الى نفسه، فدرس في الازهر والقى دروساً خاصة في داره، ثم انتقل الى (دار العلوم) التي أنشئت لتزويد طلاب الازهر المعدين للقضاء او التعليم في المدارس الحكومية بثقافة عصرية. درس كتاب تهذيب الاخلاق لابن مسكويه وكذلك مقدمة ابن خلدون. كما عمل مُحرراً في صحيفة (الوقائع المصرية) الرسمية ثم رئيساً لتحريرها. نشط محمد عبده في الحياة السياسية والاجتماعية، إذ كان مُعارضاً للاحتلال الانجليزي في بادئ الامر عن طريق المقالات التي كان ينشرها في صحيفة الاهرام، الامر الذي أدى الى إلقاء القبض عليه وسجنه لمدة قصيرة، عُمل في سجنه معاملة سيئة جدا سببت له حالة من اليأس والاحباط. ثم حُكم عليه بالنفي لمدة ثلاث سنوات، ذهب فيها الى بيروت ومنها التحق بالافغاني في باريس واصدر معه مجلة (العروة الوثقى). تنقل عبده بين باريس ولندن وتونس ومنها عاد الى مصر مُتنكراً للالتحاق بحركة المهدي في السودان فلم يُفلح الامر، فعاد الى بيروت ليُلقي في جمعية إسلامية خيرية محاضرات في علم الكلام، ثم سُمح له عام 1888 بالعودة الى مصر ليُعين قاضياً في المحاكم

الاهلية. اهم مؤلفاته (رسالة التوحيد)، تعلم محمد عبده في النصف الثاني من حياته اللغة الفرنسية، وطالع الفكر الاوربي المعاصر. ونستطيع القول بان كل حياة محمد عبده الاصلاحية اتجه فيها الى: اصلاح الدين، واصلاح اللغة والادب، واصلاح السياسة.

ونستطيع ان نوجز اهم مساهماته في حركة النهضة العربية والتجديد الاصلاح بما يلي:

1- انطلق تفكير محمد عبده كما انطلق تفكير الافغاني من قضية الانحطاط الداخلي والحاجة الى البعث الذاتي، وكان يشعر كالافغاني بوجود نوع من الانحطاط الخاص بالمجتمعات الاسلامية. وفد دعا الى أعادة تأويل شريعتهم دوماً وتكييفها وفقاً لمتطلبات الحياة الحديثة، وهذا يقتضي رجال دين مُدربون على تفسير الشريعة وتطبيقها، لذلك دعا الى تحديث مناهج الازهر.
2- دعوته المستمرة الى عدم وجود تعارض بين ما جاء به الاسلام وبين التقدم الحاصل في المجالات العلمية، والتأكيد على تحرير الفكر من قيود التقليد وفهم الدين على طريقة أوائل المسلمين قبل ظهور الخلاف، والتأكيد على الرجوع الى الدين الاسلامي في منابعه الاولى واعتباره ميزان العقل في كسب المعارف الصحيحة، والذي يُجنبه الخُرافة.
3- تأكيده المستمر على الجانب الاخلاقي، واعترافه بحاجتنا الى التغيير شريطة ان يرتبط هذا التغيير بمبادئ الاسلام وان لا يتجاوزها، الى جانب دعوته الى إصلاح أساليب اللغة العربية.
4- يرى محمد عبده ان ان بامكان العقل ان يُثبت وجود الانبياء ويبرهن على صحة الرسالة النبوية، وعلى العقل ان يتوقف ويتقبل كل ما جاء به القرآن الكريم، فالعقل حُر ضمن حدود، والمسلم الحقيقي هو الذي يستعمل عقله في شؤون العالم والدين.
5- الدعوة الى التمييز بين ما هو جوهري في الاسلام الحقيقي وما هو غير جوهري ويمكن تغييره ولا يُسبب حرجاً، وان هناك مكانية كبيرة للتوفيق بين الاسلام وبين الفكر الحديث، وهذا ما ذهب اليه الطهطاوي.
6- رغم إعجاب محمد عبده بالمؤسسات الغربية وقوانينها الا انه كان يعتقد ان هذه القوانين اذا ما زُرعت في غير أرضها واذا ما طُبقت الاساليب الحديثة في غير ارضها لا تؤتي الثمر، وان البقاء على الطرق الدينية القديمة واساليبها في التعليم لم يعد يؤتي ثمره، فالمدارس الدينية يسودها الجمود

والتقليد، والمدارس الحديثة تنفصل عن تراثنا العربي الاسلامي، لذلك فان الاصلاح والتجديد يكون في إعادة فهمنا وقراءتنا للتراث العربي الاسلامي وفي تحديث مناهج المدارس الدينية.

7- كما عمل محمد عبده على توجيه الرأي العام الى النظام الاجتماعي والى مفهوم التربية الوطنية من خلال مقالاته في جريدة الاهرام.